سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ ٢

حقيقة الخلاف

بين الإمام محمد بن عبد الوهاب وخصومه

لفضيلة الشيخ
أ.د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري
أستاذ العقيدة المشارك بجامعة الملك سعود

الشيخ لم يراجع التفريغ

حقيقة الخلاف

بين الإمام محمد بن عبد الوهاب وخصومه

alanqri drangari

للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛

يرجى المراسلة على البريد التالي:

tafreeghalangri@gmail.com

سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ

٢

حقيقة الخلاف

بين الإمام محمد بن عبد الوهاب وخصومه

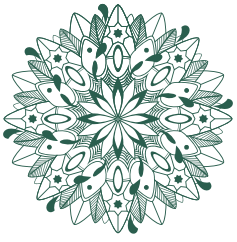

لفضيلة الشيخ

أ.د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري

أستاذ العقيدة المشارك بجامعة الملك سعود

النسخة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين ، وصلَّى اَلله وسلَّم وبارك على عَبدهِ وَرسُوله نَبِينَا مُحمَّد، وَعلَى آله وَصحبِه أَجمعِين.

ثُم أمَّا بَعْدُ:

عندنا اليوم هذه المحاضرة وعنوانها:

«سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وحقيقة الخلاف بينه وبين خصومه».

وهي تنقسم لشقين:

الشق الأول: فهو معلومٌ معروف عند الجميع.

الشق الثاني: فهو في الحقيقة من أهم ما يوضح ويجلّى للناس؛ لورود كثيرٍ من الشبهات؛ بسبب الجهل بحقيقة الخلاف الذي كان بين الشيخ وبين خصومه.

وسنقسم بإذن الله تبارك وتعالى الكلام في هذه المحاضرة إلى أربع فقرات:

الفقرة الأولى: في سيرة الشيخ، وأهم ما ينبغي التنويه إليه في هذه السيرة.

الفقرة الثانية: في حقيقة الخلاف بين الشيخ وبين خصومه.

الفقرة الثالثة: فيما ترتب على هذا الخلاف من التكفير والقتال.

الفقرة الرابعة: في تراجع عددٍ كثير من خصوم الشيخ عن معاداته.

الفقرة الأولى:

هو: الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي، ولد عام ألف ومئةٍ وخمسة عشر في بلدة العيينة، وأخذ العلم عن والدهِ الشيخ عبد الوهاب الذي كان قاضي العيينة، كما أخذ العلم عن عمه الشيخ إبراهيم وكان فقيهًا واسع الاطلاع.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «فظهر بين أبيه وعمه وهو صغير؛ فحفظ القرآن،

وقرأ في فنون العلم، وصار له فهمٌ قوي، وهمةٌ عالية في طلب العلم؛ فصار يناظر أباه وعمه في بعض بالدليل، على بعض الروايات عن الإمام أحمد والوجوه عن الأصحاب، فتخرج عليهما في الفقه وناظرهما في مسائل قرأها في «**الشرح الكبير**» و«**المغني**» و«**الإنصاف**»، لما فيها من مخالفة ما في متن المنتهى والإقناع، وكل هذه كتبٌ حنبلية، علت همته رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى طلب التفسير والحديث؛ فسافر إلى البصرة غير مرة، كل مرةٍ يقيم بين من كان من العلماء فيها». انتهى.

وقد رحل الشيخ إلى الأحساء، وأخذ عن عددٍ من علمائها، وحصل له في الأحساء مناقشة شهيرة مع قاضيها الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، أقّر فيها القاضي بقول أهل السنة في الإيمان، وخالف جماعته من الأشاعرة.

❍ **وقد تلقى الشيخ محمد العلم عن علماء مكة والمدينة** ومن أشهرهم: الشيخ ذائع الصيت المحدث«**محمد حياة سندي**»، والفقيه الشيخ «**عبد الله بن سيف**» وغيرهما من علماء الحرمين؛ كما تلقى العلم عن علماء البصرة؛ كالشيخ «**شهاب الدين الموصلي**» قاضي البصرة، و«**حسين الإسلام بولي**» وشيخ «**محمد المجموعي**»، وارتحل أيضًا للزبيري وأخذ عن علمائها.

❍ **ومن البلدان التي دخلها الشيخ، وأخذ عن علمائها بغداد؛** كما ذكر ذلك الشيخ إبراهيم الحيدري الشافعي في كتابه عنوان «**المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد**»، فقد نقل عن والده أن الشيخ محمد أخذ في بغداد عن جده الشيخ «**صبغة الله الحيدري الشافعي**»، وقلّ من ذكر دخول الشيخ إلى بغداد وذكر أخذه عن علمائها بل رأيت من أهل العلم الأفاضل من نفى دخول الشيخ إلى بغداد، مع أن الشيخ الحيدري يثبت أنه دخل بغداد.

❍ **الذين تلقى الشيخ عنهم العلم على الحقيقة كثيرٌ جدًّا،** وقد أجَازه غيرُ واحدٍ من شيوخه بأن يروي كتب السنة الستة المعروفة، والمسند والموطأ، وغيرها من كتب العلم؛ ككتب المذهب الحنبلي بأسانيدها.

❁ ما الذي تميز به الشيخ محمد في تلقي العلم عن بقية علماء نجد؟!

مما ينبه إليه أن الشيخ محمد تميز على معاصريه من علماء نجد بعنايته بعلوم من الشريعة لم تكن محل عناية علماء نجد في تلك الحقبة؛ كالحديث والتفسير؛ فقد درسها عددًا وصنف فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ أكثر من مصنف، إضافة إلى عنايته بفقه الأحكام؛ أما علماء نجد في تلك الفترة؛ فكان جلّ اهتمامهم بالفقه فقط، ولم تكن لهم عناية ببقية العلوم كما ذكر ذلك الشيخ القاضي «**عبد الله البسام**» رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «**علماء نجد**»؛ بل ذكر أنهم كانوا يرون أن ما سوى الفقه مشغلة ومضيعة للوقت؛ فمن هنا تميز الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإلمامه بسائر علوم الدين؛ حيث نفعه الله تعالى بتلك الرحلات، التي تلقى فيها تلك العلوم عن أهلها؛ لذلك لزم الشيخ محمد في تلك الحقبة منهج المحققين من العلماء بترك التعصب للمذهب الفقهي؛ إذا تبين أن الدليل على خلافه، وكرر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على معاصريه أن هذا هو ما أوصى به الأئمة الأربعة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا، مما جعل المتعصبين للمذاهب الفقهية يشنون عليه حملةً شعواء حاصلها أن ابن عبد الوهاب يدعي الاجتهاد المطلق، وقد رد هذا، وبين أنه لم يدع الاجتهاد المطلق بل عمل بما أوجبه نفس الأئمة الأربعة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ الذين نهوا عن تقليدهم؛ إذا تبين أن ثمة قولًا ذهب إليه أحدهم فقام الدليل على خلافه؛ فكان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يأخذ بالدليل، ويخرج عن المذهب إذا اتضح أن الصواب في قول أهل مذهبٍ فقهيٍ آخر، وهذا لا شك بأن هذا مذهب المحققين من أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ لا يترددون قطعًا في أن هذا هو المتعين حين اتضاح الدليل، وعلي رأس هؤلاء الأئمة الأربعة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ.

❁ لا بُدّ عند كلامنا على التعريف بالشيخ محمد أن نذكر هذين التنبيهين؛ فإن أحدهما يبين ويوضح السبب في حملةٍ ظالمةٍ وقعت للشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على يدي مجموعة ممن لم يعرفوا الإنصاف:

○ **التنبيه الأول**: أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ سلك في دعوته إلى الله، مناقشة خصومه ومحاورتهم

بالتي هي أحسن، وكان كثير التركيز على أمر المناقشة والحوار، وقد أبلغ في الصبر على تجاوزات شديدة من خصومه في حقه، وكاتب حتى من ينصرون الشرك بأسلوبٍ رفيقٍ هادئ، إلى أن تمادى من تمادى منهم في العناد، رغم كثرة ما نقل لهم الشيخ من تقريرات العلماء من المذاهب الأربعة على صحة ما يقرره؛ فعند ذلك لم يجد الشيخ بدًا من الرد، على هؤلاء الذين خرجوا على العناد والمكابرة.

من دلائل ذلك في كتاب الشيخ قوله عن ثلاثة من أشد خصومه الذين كفروه وسافروا للبلدان يحرضون عليه، ويحثون على لزوم الشرك، قال عن هؤلاء الثلاثة: «كاتبناهم، ونقلنا لهم العبارات وخاطبناهم بالتي هي أحسن وما زادهم ذلك إلا نفورا»، واعتمد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مناقشة خصومه اسلوبًا يعد نادرًا جدًا بين الخصوم، وذلك أنه كان يمكن خصومه من الوصول إليه في بلده، مع أنهم يكفرونه، آمنين ويناقشهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجهًا لوجه، ثم يقوم بتأمين رجوعهم إلى بلدانهم مكرمين، وفي هذا يقول في عددٍ من خصومه الذين ناقشهم بهذه الطريقة بأن العام والخاص، أي: من أهله بلده فرحوا بمجيء هؤلاء الثلاثة إليه؛ ثم قال بعد أن أتم مناقشته لهم، وراحوا موقرين محشومين، مع أن من في خصومه هؤلاء من كان يكفره، ويحذر الناس من دعوته؛ ولكن الشيخ مكنهم من الوصول إليه آمنين والعود إلى بلدانهم مكرمين، ودعا الشيخ عددًا ممن كاتبهم في رسائله إلى المقابلة وجها لوجه؛ كما طلب ذلك من القاضي ابن عباد قاضي بلدة الرمدة، والقاضي عبد الله بن سحيم قاضي بلدة حرمة؛ كما عرض على القاضي عبد الله بن عيسى إرسال ابنه عبد الوهاب إليه، وقال يخاطبني وأخاطبه من الرأس، أي: مباشرة، وإن كان كبر عليه الأمر فيوصي إلى وأنا أعني له، أي: أنا أتجشم عناء السفر إليه.

○ **التنبيه الثاني**: أن الشيخ محمدًا كان ينكر المنكرات في ظل ولايةٍ شرعية؛ فهدمه القبة المبنية على قبر زعم الغلاة كذبًا أنها لزيد بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هذا الهدم كان في ولاية حاكم العيينة عثمان بن معمر، عندما كان الشيخ مقيما في بلده، وهدم القباب الذي جرى في

الدرعية لاحقًا كان في ولاية حاكم الدرعية محمد بن سعود؛ فلم يكن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتصدى لإمورٍ كبيرة كهذه إلا في ولاية شرعية، ونحن حينما نقول في ولايةٍ شرعية؛ فلأن وضع البلدان النجدية في تلك الفترة هو وجود عدد من الحكام المتمكنين في بلدان متفرقة، في كل بلدٍ حاكم استقل بحكمه وأدار شأن بلده وضبط البلد مستقلًا عما سواه، وقد أفتى أحد أكابر شيوخ نجد قبل الشيخ محمد وهو أحمد بن عطوة: «أن ولاية أولئك الحكام في نجد، ولايات صحيحة، وأن حكوماتهم نافذة»، **قال ابن عطوة**: «سألت شيخنا، أي: الشيخ مرعي الكرمي الحنبلي الشهير، سألته عن حكام بلدنا أي: في نجد، بعد أن عرفته حالهم؛ فأجاب حكمهم كغيرهم من السلاطين في سائر البلدان، وصرح الشيخ بأن من تغلب في ناحية؛ فحكمه حكم الإمام»، نقل ذلك كله عن ابن عطوة الشيخ أحمد المنقور الحنبلي في كتابه «**الفواكه العديدة**».

وهذا الوضع لبلدان نجد فيه أهم جواب على من زعم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب خرج على الدولة العثمانية؛ فإن العثمانيين لم يكن لهم سلطانٌ على البلدان التي فيها الشيخ أصلا، حتى يقال قد خرج عليهم، والعلماء كما ذكرنا يفتون بأن الوضع الذي تكون عليه البلدان النجدية في ذلك الوقت، وما ماثلها من أن كل حاكمٍ متمكنٍ بولاية مستقلة؛ فولايته صحيحة، وهذا ما كان يقرره أيضًا الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

❍ **ومن عجيب الأمور**: أنهم يقولون إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب خرج على الدولة العثمانية، مع أن حاكم الأحساء ابن عريعر كان ذا أثرٍ كبير كما سنرى- إن شاء الله- تعالى على حاكم العيينة، وابن عريعر هو الذي طرد العثمانيين منذ عام ألف وثمانين من الأحساء، ولم يعد لهم سلطان أبدًا على الأحساء، وكانت مثل العيينة وكذلك بلدان أخرى في نجد تخضع لمن؟! لحاكم الأحساء الذي خرج على العثمانيين؛ فكيف يقال إن محمد بن عبد الوهاب خرج أصلًا عن العثمانيين، وهم ليس لهم سلطة أصلًا على البلدان النجدية.

وبذلك يعرف أحد الوجوه الكبيرة في الفرق، بين منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب

ومنهج الغلاة المعاصرين، الذين زعموا أنهم امتداد لدعوة الشيخ؛ فإن الشيخ كان يرى ثبوت ولاية أولئك الحكام في وقته؛ أما هؤلاء الغلاة؛ فيزعمون أن الولاية لهم هم، وأن ولاية غيرهم ليست شرعية، وهذا فرقٌ جوهري كبير بين الشيخ وبين هؤلاء الغلاة.

والفروق بين الشيخ محمد وبين منهجه ومنهج الغلاة كثيرة جدًّا يعيها من فهم منهج أهل السنة في باب الولاية والسياسة الشرعية، وفهم أيضًا منهج الغلاة.

الفقرة الثانية:

في حقيقة الخلاف بين الشيخ محمد وخصومه، سنذكر- بإذن الله- تعالى قبل تفصيل حقيقة هذا الخلاف أيضًا، تنبيهين هما:

○ **التنبيه الأول**: أن من أكثر الأخطاء الواقعة في تعامل من هاجموا دعوة الشيخ، اقتطاع كلام الشيخ من السياق الذي ورد فيه، والمناسبة الموضحة له، ثم التشنيع على الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنه قال كذا وكذا؛ وقد بتروا كلامه عن السياق الذي يوضحه؛ والسبب الذي لأجله قال ما قال من الكلام الذي نقلوه مبتورًا، هذا الأسلوب مع أنه ظلمٌ وتجني؛ فإنه لو استعمل مع أي أحدٍ لأمكن تشويه كلامه بسهولة؛ بل إن من يستعملون هذا الصنيع الجائر لو طبق عليهم هم أسلوبهم فقطع كلامهم عن سياقه ومناسبته لاشتكوا بأنهم لم ينصفوا؛ ولم يتق الله فيهم، لكنهم إذا استعملوا هذا مع الشيخ ومع غيره من أهل العلم لم يبالوا بقلة تقواهم هم لله عَزَّوَجَلَّ؛ وإنما نبهت لهذا الأمر؛ لأن كلام الشيخ محمدٍ في التكفير وموقفه من القتال مبنيٌ على أساسٍ علمي قرره علماء أهل السنة قبله؛ فإذا جمع كلام الشيخ متكاملًا اتضح موقف الشيخ من جميع هذه المسائل لمن أراد الإنصاف؛ فإن موقف الشيخ من القتال والتكفير مبنيٌ على أي أصل؟ على الأصل الأكبر لحقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسله، وهو الأصل الذي خالف خصوم الشيخ فيه منهج أهل السنة أشد المخالفة؛ كما سيأتي إن شاء الله؛ فالواجب ربط كلام الشيخ محمد في هذه المسائل ببعضها؛ ليتضح في سياقٍ علمي، وأن يُترك تشهي بعرض المسائل وفق الهوى.

○ **التنبيه الثاني**: أن خصوم الشيخ في الحقيقة كانوا فريقين؛ **أولهما**: من وافقوه في بطلان الواقع الموجود في وقتهم مما يقع من الغلاة من دعاء غير الله، والذبح له، وغير ذلك مما يصنعه الغلاة عند القبور وغيرها؛ كما وافق هؤلاء الخصوم الشيخ في بطلان ما كان يفعله عددًا من الجفاة في وقتهم ممن كانوا يستعلنون ويجهرون بإنكار الجنة والنار والبعث، وكان هؤلاء الجفاة يسخرون من الشريعة وأحكامها علانيةً، وهذه الأمور كان الجفاة يزاولونها مع علمهم بأن هذا كله مما بعث الله به نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فلم يكن حالهم حال جاهل يعلم؛ بل كان حالهم حال معاند مُصّرٍ على عناده.

○ **الفريق الأول**: من خصوم الشيخ، خطئوا الغلاة، وخطئوا الجفاة؛ لكنهم خالفوا الشيخ؛ فقرروا أن هؤلاء جميعًا من الغلاة ومن الجفاة لما كانوا يقولون: «**لا إله إلا الله**»؛ فهم مسلمون مطلقًا، مهما وقع منهم من قول أو فعل أو اعتقاد باطل، **وقرروا قاعدة**: «**من قال لا إله إلا الله؛ فهو مسلم**»؛ بقطع النظر عما صدر منه من هذه العظائم بالغة في الشناعة ما بلغت؛ لأن معنى كلمة التوحيد عندهم: هو أن يقر أن الله تعالى هو ربه؛ فمن أقر بها فهو عند خصوم الشيخ مسلم مطلقًا، **هذا هو**:

السبب الأول: في عدم تكفيرهم من كان من الغلاة الذين يصرفون العبادة لغير الله، ومن كان من الجفاة الذين يجهرون بإنكار اليوم الآخر بما فيه من بعث وجنة ونار.

السبب الثاني: عجيب جدًّا، وهو أن خصوم الشيخ كانوا يقولون إن من سكن في الجزيرة العربية؛ فلا يمكن أن يقع منه شرك، سواءٌ أكان من الجفاة أو من الغلاة؛ فمن سكنها بزعمهم؛ فلا يمكن أن يقع منه شركٌ مطلقًا، وقد ناقش الشيخ هذا الفريق من خصومه بما أجمع عليه العلماء من أن من قال كلمة التوحيد واتبعها بناقضٍ ينقضها من قول أو فعل أو اعتقاد؛ فإنها لا تنفعه، فمن قالها كلمة التوحيد ودعا غير الله، أو قال كلمة التوحيد وكذّب بالجنة والنار، فقد نقض كلمة التوحيد بإجماع العلماء، ونقل الشيخُ كلام الفقهاء من المذاهب الأربعة في هذا ونبه خصومه هؤلاء إلى أنهم خالفوا علماء الأمة بما قرروه من هذا

المعنى الباطل لكلمة «لا إله إلا الله»؛ فأما زعم خصوم الشيخ أن من سكن الجزيرة فلا يمكن أن يقع في كفر؛ فساق الشيخ لإبطاله ما وقع من المرتدين، الذين قاتلهم الصحابة رضي الله عنهم بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا كلهم من أهل الجزيرة العربية، وسنورد إن شاء الله عز وجل كل ذلك قريبًا؛ فهذا في بيان الفريق الأول من خصوم الشيخ وهم أسهل خصوم الشيخ.

○ **الفريق الثاني**: فهم ثلةٌ من الغلاة، الذين كانوا يرون أن ما يقع عند القبور من دعاء أهلها والذبح لهم، يعبرون هكذا هو الدين الصحيح، وكتب بذلك خصم شهيرٌ للشيخ هو: «**محمد بن فيروز**» وأرسل كتابه هذا للشيخ محمد بن عبد الوهاب، واتجه عددٌ من من خصوم الشيخ الغلاة هؤلاء إلى البلدان التي كان بها قبور يُغلى فيها، اتجهوا لتلك البلدان وحذروا أهلها من التراجع عما هم فيه من الشرك، بعد دعوة الشيخ، وأفتوهم أن ابن عبد الوهاب قد كفر وحلّ دمه حين أنكر الضلالات الموجودة عند هذه القبور.

الفريقان اللذان ذكرنا من خصوم الشيخ؛ وإن اختلفا في النظرة إلى الممارسات الشركية؛ إلا أنهما اتفقا، على أن معنى التوحيد هو: الإقرار بالربوبية، وخالفوا بذلك ما قرره علماء السلف وأئمة الإسلام في معناه؛ كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

○ **نشرع بعون الله في بيان حقيقة الخلاف الذي وقع بين الشيخ وخصومه هؤلاء فنقول:**

ينبغي أن يُعلم، أن حقيقة خلاف الشيخ مع خصومه راجعةٌ إلى الأصل العظيم الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم وهو معنى «لا إله إلا الله»؛ فالشيخ محمد كان يقرر أن معنى هذه الكلمة هو: «لا معبود بحق إلا الله»، ويبني على ذلك أن جميع العبادات يجب أن تصرف لله تعالى وحده من ذبح أو دعاء أو غيره؛ فمن صرف من العبادات شيئًا لغير الله فقد أشرك؛ لأنه إذا قال كلمة التوحيد بلسانه ثم صرف العبادة لغير الله؛ فقد نقض هذه الكلمة بصرفه العبادة لغير الله؛ أما خصوم الشيخ فإنهم زعموا أن معنى كلمة التوحيد الإقرار بأن الله هو الرب الخالق المدبر، قالوا من أقر بذلك فقد أقام التوحيد ولو وقع في صرف عبادةٍ لغير

الله؛ فلا يحكم بأنه نقض كلمة التوحيد، وهكذا قالوا فيمن جحدوا الجنة والنار، قالوا لا يحكم بأنهم نقضوا كلمة التوحيد؛ لأن كلمة التوحيد عند خصوم الشيخ أي: أن يقر العبد أن الله هو الرب المدبر؛ فإذا أقر أن الله هو الرب المدبر، وأنكر الجنة والنار، قالوا فهو ما أنكر أن الله هو الرب المدبر.

○ زعم خصوم الشيخ أن كفار قريش ما كانوا يقرون أن الله هو الرب الخالق المدبر؛

لأنهم لو أقروا بذلك لقالوا كلمة التوحيد، الذي هذا معناه بزعم خصوم الشيخ، وقد رد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على خصومه كلامهم هذا مستدلا بصريح الآيات القرآنية التي يحفظها حتى الصبيان، الدالة على أن الكفار الذين قاتلهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا يقرون بأن الله هو الخالق المدبر، فلو كان معنى «لا إله إلا الله» الإقرار بأن الله هو الخالق؛ لما ردها كفار قريش؛ لأنهم يقرون بهذا المعنى، وأورد الشيخ آيات القرآنية الكثيرة الدالة على أن كفار قريش يقرون أن الله هو خالقهم ومدبرهم؛ كقول الله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥]، وقول الله عَزَّوَجَلَّ في سورة المؤمنين في الآيات الست: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون:٨٥]، والآيات في هذا كثيرة، ومنها الآية العظيمة الجامعة في سورة يونس: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس:٣١]؛ فالمشركون بنص القرآن كانوا يُقِرون أن الله هو ربهم وخالقهم ومدبر أمرهم، وهذا هو معنى الإيمان الذي نسبهُ الله تعالى لهم في سورة يوسف فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦]؛ وقد أوضح علماء الأمة هذا عند تفسيرهم الآيات.

فقال ابن عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فيما رواه «**الطبري**»عند قول الله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦] من إيمانهم؛ إذا قيل من خلق السماء؟ قالوا الله، من خلق الأرض؟

قالوا الله، من خلق الجبال؟ قالوا الله، وهم مشركون.

وقال عكرمة: تسألهم من خلقهم وخلق السماوات والأرض؛ فيقولون الله؛ فذلك إيمانهم بالله وهم يعبدون غيره.

وقال قتادة: لست تلقى أحدًا منهم؛ إلا أنبأك أن الله ربه، وهو الذي خلقه ورزقه، وهو مشركٌ في عبادته.

○ **وآثار السلف الحقيقة كثيرة جدًّا في هذا؛** وقد نص على هذا المعنى من صنفوا في التفسير كابن جرير وابن كثير والبغوي وغيرهم من المفسرين الذين قرروا أن المشركين كانوا يُقِّرون أن الله هو ربهم ومدبرهم؛ فلو كان معنى «لا إله إلا الله» الإقرار بأن الله هو الخالق المدبر لما ردها المشركون؛ وإنما رد المشركون هذه الكلمة لأن معناها إفراد الله وحده بالعبادة، وعدم صرف شيءٍ من العبادات لغيره تعالى، والدليل على معناها واضحٌ في القرآن كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا﴾ [الصافات:٣٦]؛ ففهموا أن معنى كلمة التوحيد أن تترك عبادة كل ما سوى الله، وهذا الحال هو حال جميع المشركين الذين بُعث لهم الأنبياء؛ فقوم هود على سبيل المثال لما دعاهم هودٌ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لكلمة التوحيد قائلًا: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩] ردوا عليه بقولهم: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف:٧٠]؛ ففهموا أن كلمة التوحيد أي: إفراد الله بالعبادة، وترك عبادة ما سواه.

○ **هذا المعنى هو المقرر لكلمة التوحيد في مواضع من كتاب الله** كقول الله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦]، والمراد بالعروة الوثقى: «لا إله إلا الله»؛ وهكذا قول الله عن إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٧] إلى قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف:٢٨]؛ فهذا معنى كلمة التوحيد الذي لا يتردد علماء الأمة فيه، وهو

الذي قرره ابن عبد الوهاب وردد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتبه أن معنى كلمة التوحيد مرتبطٌ بإفراد الله بالعبادة، فقال إن معناها: «لا معبود بحقٍ إلا الله»، وهذه العبارة «لا معبود بحقٍ إلا الله» التي ذكرها الشيخ هي عبارة أهل العلم قبله؛ فتجدها في كلامهم واكتفي بنقلٍ واحد لهذا المعنى عن شيخ المفسرين ابن جرير الطبري؛ فإنه عند آية سورة غافر: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر:٦٥] قال مفسرًا لكلمة لا إله إلا هو: لا معبود بحقٍ تجوز عبادته إلا الله، وتصلح الآلوهة له إلا الله، انتهى كلام الطبري.

❍ **وهذه الكلمة كما ترى هي عبارة ابن عبد الوهاب، التي كررها في كتبه لمعنى كلمة التوحيد؛** فمن هنا قلنا إن أصل خلاف ابن عبد الوهاب مع خصومه هو في معنى كلمة التوحيد؛ ولذا انعكس هذا الخلاف على بقية مسائل الخلاف بينهم؛ فلما كان خصومهم يفسرون كلمة التوحيد؛ بأنها تعني الإقرار؛ بأن الله هو الرب الخالق، أنكر أن يكون من يصرف العبادة لغير الله مشركا، وأنكروا لشدة ما جهلوا من كلام العلماء تكفير من ينكر البعث والجنة والنار، وبرروا ذلك بأن منكر البعث والجنة والنار وإن أنكرها فهو يُقّر بأن الله ربه الذي هو معنى «لا إله إلا الله» بزعمهم.

❍ **وبذلك نعلم أيها الإخوة!!** مسألةً مهمة: أن من جهل أصل خلاف الشيخ محمد خصومه الذي وضحناه هنا ثم خاض في موضوع التكفير والقتال الذي وقع بين الشيخ وبين خصومه؛ فلن يفهم حقيقة الخصمة التي جرت والمسائل التي ترتبت عليها، لماذا؟ لأن حقيقة الخصمة كانت بين عالم سني، استمسك بما قرره علماء أهل السنة بمعنى التوحيد، وقابله من؟! قابله خصومهم قرروا في معنى التوحيد معنى باطلًا، وفرعوا على ذلك ما قرروه في حقيقة الشرك والكفر؛ إذ قرروها على ما يُعد عند أهل العلم في أشد أنواع غلو المرجئة؛ فكان خصوم الشيخ غايةً في الأرجاء، حتى أن بعض طوائف المرجئة تعارض هذا التقرير، الذي قرروه ولو على الأقل في أن من جحد اليوم الآخر لا يمكن أن يكون عند المرجئةِ مسلما، وعند هؤلاء يقولون إنه وإن جحد اليوم الآخر؛ فإنه يكون مسلمًا، وهكذا من صرف

العبادة لغير الله عَزَّوَجَلَّ فإن طوائف من المرجئة تقول: إذا عبد غير الله لا يكون مسلما، وهؤلاء يقولون وإن عبد غير الله بالدعاء والذبح وقال «لا إله إلا الله»؛ فإنه يكون مسلما، وهذا يدل على ما ذكرنا من كون هؤلاء قد خالفوا المنصوص المعلوم عند علماء الأمة.

○ **وحيث فرغنا من توضيح أصل الخلاف بين الشيخ وبين خصومه؛** فإن من الإنصاف أن ننقل دلائل كلام ذلك في كلام الشيخ وكلام خصومه بيانًا للحقيقة من كلام الطرفين، ومن أراد الوقوف على ما سأنقله- إن شاء الله- فليراجع مناقشة الشيخ لخصومه في جزء جمع باسم «**الرسائل الشخصية**»؛ فإنه يوضح حقيقة الخلاف بين الشيخ وبين أولئك الخصوم، من هذه الرسائل رسالة الشيخ لخصمه محمد بن عيد؛ فإن الشيخ خاطبه في شأن الأجلاف المنكرين للبعث، المستهزئين بالشريعة قائلًا: «لما بينت ما جاءت به النصوص وأجمع عليه العلماء، من أن من أنكر البعث أو شك فيه أو سب الشرع أو سب الأذان إذا سمعه، أو فضل حكم الطاغوت على حكم الله؛ فهو كافرٌ مرتد، قال علماؤكم: معلومٌ أن هذا حالهم، لا ننكره؛ ولكنهم يقولون «لا إله إلا الله» فهي تحميهم من الكفر؛ ولو فعلوا كل ذلك؛ فلما أظهرت تصديق الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فيما جاء به، سبوني غاية المسبة، وزعموا أني أكفر أهل الإسلام واستحل أموالهم وصرحوا -وانتبه لهذه الكلمة صرحوا- أنه لا يوجد في جزيرتنا رجل واحدٌ كافر»، يعتقدون الجزيرة العربية مستحيل أن يوجد فيها أحد يكفر، وفي مكاتبة أخرى جرت بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب وخصمه أحمد بن إبراهيم، أورد ابن عبد الوهاب على ابن إبراهيم أن من ينكرون البعث في زمنهما لم يكتفوا بإنكار البعث بل كانوا يستهزئون بمن يصدق بالبعث، ويفضلون حكم الطاغوت على شريعة الله، ويستهزئون بالشريعة ثم يقول الشيخ: «مع إقرارهم بأن محمدًا رسول الله، لكن كذبوا واستهزءوا عنادًا»، ثم عاتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب عاتب خصمه هذا وبقية خصومة قائلًا: «ومع ذلك تنكرون علينا كفرهم، وتصرحون بأن من قال «لا إله إلا الله» لا يكفر -أي: لا يكفر مطلقا-»، في مكاتبةٍ ثالثة وجه الشيخ محمد بن عبد الوهاب لخصمه أحمد بن عبد الكريم هذا العتب الدال على ما ذكرنا، من بناء الفريقين أمر التكفير على الأصل الذي نحن

بصدد الحديث عنه؛ حيث قال ابن عبد الوهاب لخصمه هذا: «إذا كنت تزعم أن الإنسان إذا أظهر الإسلام لا يكفر، إذا أظهر عبادة الأوثان وزعم أنها الدين وأظهر سب دين الأنبياء، وأفتى بقتل من أخلص الدين وإحراقه، وحل دمه فهذه مسألتك، وقد قررتها وذكرت أن من زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى يومنا هذا لم يقتلوا أحدًا ولم يكفروه من أهل هذه الملة»، وفي رسالةٍ وجهها الشيخ محمد لعلماء أهل مكة، لخص رَحِمَهُ اللَّهُ موقفه وموقف خصومه حين أفتى بكفر المعاندين ممن أنكروا البعث والجنة والنار، وأنكروا توريث النساء، مع علمهم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث بهذا الذي أنكروه، فلما أفتى الشيخ بذلك رد عليه خصومه بقولهم واسمع رد خصومهم: «من قال لا إله إلا الله، لا يكفر ولو أنكروا البعث، وأنكروا الشرائع كلها»، لما كان خصوم الشيخ ينسبون للشرع ما قرروه من الحكم بإسلام المعاندين المذكورين، توسع الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في الاستدلال بنقولات عن السلف، ومن بعدهم من علماء الأمة؛ بالحكم على من نقض كلمة التوحيد، بناقضٍ قولي أو فعلي أو اعتقادي؛ فإن هذه الكلمة لا تنفعه، وأورد رَحِمَهُ اللَّهُ سبع وقائع **أولها**: قتال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لمانع الزكاة من المرتدين، مع أنهم يقولون كلمة التوحيد، وساق الشيخ ست وقائع أخرى حكم السلف والعلماء فيها بكفر من نقضوا كلمة التوحيد بناقضٍ قولي أو فعلي أو اعتقادي؛ ثم قال الشيخ عن هذا التقرير الذي نقله عن علماء الأمة يعرفك هذا معرفة ضده، وهو أن علماء زماننا أي: من خصومه، يقولون من قال «لا إله إلا الله فهو مسلم لا يكفر»؛ حتى أنه يُصّرحون بهذا في شأن من يكذبون بالبعث، وينكرون الشرائع ويزعمون أن شرعهم الباطل هو الحق مع إقرارهم أن شرعه هذا قد أحدثه لهم آباؤهم كفرًا بشرع الله، ثم قال الشيخ وهو الشاهد لما قلنا: «وعلماء الوقت يعترفون بهذا كله، ويقولون عن هؤلاء، ما فيهم من الإسلام شعرة، ثم المسلم عندهم -أي: عند خصومه- هو الذي ليس معه من الإسلام إلا شعرة؛ إلا أنه يقل بلسانه لا إله إلا الله، -ثم تعجب الشيخ من طريقة هؤلاء في التقرير- فقال: «والعجب، أن الكتب -أي: كتب الفقه التي بأيديهم- فيها مسائل الردة»، أي: وفيها التصريح كما في «**الإقناع**» وغيره، أن من أنكر البعث؛ فإنه يكفر، أن من صرف العبادة لغير

الله؛ فإنه يكفر، ومع هذا فإنهم مصرون على عدم كفر هؤلاء.

○ فتجلى بما نقلناه أهمية تحرير أصل الخلاف بين الشيخ محمد وبين خصومه هؤلاء، فإن خلافهم ليس مرتبطًا بضوابط التكفير حتى نطيل الكلام فيها، بل خلاف الشيخ معهم مرتبطٌ في المقام الأول بأصل كبير هو معنى «لا إله إلا الله»، وهل يعصم دم من قالها مطلقًا؟ وإن أتى بناقض لها؟ كصرف العبادة لغير الله، أو جحد اليوم الآخر أو السخرية بما علم وجزم أنه من الشرع كما يقرر خصومه، أم أنها هذه الكلمة العظيمة يترتب عليها أمور، من لم يقم بها لم تنفعه هذه الكلمة إذا قالها بلسانه ثم نقضها بقوله أو فعله أو اعتقاده؛ فإن من أشرك وقالها، وجحد اليوم الآخر؛ فإن من أشرك وقالها أو جحد اليوم الآخرة وقالها؛ فإنها لا تنفعه بإجماع علماء الإسلام؛ حيث تبين أيها الإخوة أن أصل خلاف الشيخ وخصومه راجعٌ إلى خلاف في معنى التوحيد الذي بعث الله به رسله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

○ فلا بُدّ بحول الله تعالى من الكلام على ما تفرع على هذا الخلاف من التكفير والقتال، الكلام على التكفير والقتال متفرع عن الكلام في أصل الخلاف ومعنى التوحيد فيأتي من يهجم هجوم ويقول إن الشيخ يقول كذا في التكفير؛ لكن الشيخ يقول هذا في التكفير في من؟! يقوله في من يزاولن هذه الشركيات علنًا، وأبدى لهم أن هذا من مخالفة الشرع، ووضح لهم الأدلة وأبوا، وقال هؤلاء الأجلاف إن من يقول لا إله إلا الله لا يكفر؛ حتى وإن سب الشرع؛ حتى وإن سخر بالأذان، وكانوا يسمعون الأذان فيسخرون به، مع أن السخرية بالأذان ذكرها الله تعالى عن أهل الكفر: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا﴾ [المائدة:٥٨] ؛ فهذا الصنيع لا يكون عادةً من مسلم، ولو أن مسلمًا جهل وعلم، وقيل أن هذا من دين الله لتوقف، لكنهم أصروا عليه، فقال خصوم الشيخ لا يمكن أن يكفروا ما داموا يقولون لا إله إلا الله، ولا يمكن أن يكفروا وهم في الجزيرة العربية، وكأن هناك فرقًا بين من يجحد اليوم الآخر في الجزيرة، ومن يجحده في مصر، أو يجحده في الجزيرة، ومن يجحده في الشام، الحكم واحد، قالوا أهل الجزيرة العربية لا يمكن أن يقع منهم كفر.

الفقرة الثالثة:

موضوع التكفير، سألخص- إن شاء الله- تعالى ما قرره الشيخ في موضوع التكفير في الآتي:

- **أولًا**: أوجب الشيخ أن يبنى الكلام في التكفير على ما قرره العلماء فيه، وأبطل كل تقريرٍ لمسائل التكفير على خلاف ما قرره العلماء، وكتب بذلك لخصومه مبينًا أنه لم يقرر إلا ما قرره العلماء في التكفير.

- **ثانيًا**: التزم الشيخ أن لا يكفر إلا بأمرٍ أجمع العلماء على التكفير به؛ أما المسائل التي اختلف العلماء في التكفير بها ومنها ترك الصلاة؛ فقد ترك الشيخ التكفير بها، احتياطًا لأمر التكفير؛ حتى لا يكفر إلا بالأمور التي اجتمع العلماء عليها كلهم، وهذا كما ترى من أعظم ما يكون في الاحتياط في التكفير.

- **ثالثًا**: أنكر الشيخ التكفير بالعموم، وعد من وقع فيه ملحقًا بالمجانين، ونفى عن نفسه ما أشاعه عنه خصومه ظلمًا وعدوانا من أنه يكفر بالعموم؛ وأنه يقل بكفر الناس منذ ستمئة سنة، وغير ذلك من الأكاذيب الكثيرة التي قال عنها؛ إنهم إنما نشروها ليصدوا الناس عما يدعوهم إليه من التوحيد ونبذ الشرك.

- **رابعًا**: الضوابط المعتبرة للتكفير عند العلماء، قررها الشيخ كما قررها العلماء تمامًا، وقد جمعت منها شيئا كثيرًا يطول بنا المقام لو استعرضناه؛ ولأجل ذلك؛ ولطول كلام الشيخ في التكفير قال حفيده في «ضوابط التكفير» قال حفيده الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن: «هذا صريحٌ في كلامه في غير موضعٍ ورسائله في ذلك معروفة».

- **خامسًا**: حرص الشيخ كثيرًا على التفريق بينما ما يحكم بأنه كفرٌ أكبر وبين غيره، من الأمور التي ينهى الناس عنها؛ لأنها بدعٌ لا يحكم بكفر الواقع فيها، ومن أشهر ما ركز الشيخ على التفريق فيه، المسائل الآتية:

المسألة الأولى:

التفريق بين دعاء الصالحين أنفسهم، وبين أن يتوسل إلى الله بالصالحين قائلًا: «اللهم إني أسألك بفلان»؛ فالشيخ يكفر من دعا الصالحين، وقال: «يا عبد القادر أغثني»، يقول: هذا كفر، وهو فعل أهل الجاهلية، أما من قال: «اللهم إني أسألك بالشيخ عبد القادر، اللهم إني أسألك برسول الله»؛ فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال فيهما يأتي واسمع ما قال في التفريق بين هذا وهذا، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفرق بين الأمرين بين دعاء الصالحين أنفسهم وبين سؤال الله بهم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كون بعض -أي: من أهل العلم- يرخص بالتوسل بالصالحين، وبعضهم يخصه بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأكثر العلماء ينهى عن ذلك ويكرهه؛ فهذه المسألة من مسائل الفقه، أي: ليست عقدية، ولو كان الصواب عندنا قول الجمهور؛ فلا ننكر على من فعله، ولا إنكار في مسائل الاجتهاد، لكن إنكارنا على من دعا المخلوق أعظم مما يدعو الله، ويقصد القبر يتضرع عند ضريح الشيخ عبد القادر أو غيره يطلب منه تفريج الكربات، فأين هذا مما يدعو الله مخلصًا له الدين لا يدعو مع الله أحدا، لكن يقول في دعاء أسألك بنبيك أو بالمرسلين أو بالصالحين أو يقصد قبرا يدعو عنده؛ لكن لا يدعو إلا الله مخلصًا له الدين، فأين هذا مما نحن فيه؟ -يقول أين هذا الفعل هذا ممن يدعو الصالحين أنفسهم؟- يقول هذا الذي يدعو الصالحين أنفسهم مشركا؛ لكن من يذهب عند قبرهم ويدعو الله؟ أو من يقول يا ربي أسألك بنبيك؟ يقول يختلف؛ لأن الذي يقول أسألك بنبيك موحد، دعا الله، لكن استعمل في دعائه التوسل بالصالحين، وهذا الذي كما سيأتي- إن شاء الله- تعالى أن الشيخ يقرر ما قرره فيه أبو حنيفة وأبو يوسف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من منعه.

وقال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذا التوسل بهذه الصيغة، أسألك بنبيك؟ يقول هذا ليس شركًا ولا نهينا الناس عنه؛ ولكن المذكور عن أبي حنيفة وأبي يوسف -رحمهما الله- وغيرهم أنهم كرهوه؛ لكن ليس مما نختلف نحن وغيرنا فيه.

ففرق كما ترى بين أمرين:

○ **الأمر الأول:** دعاء غير الله؛ فقد حكم بأن هذا شرك أهل الجاهلية الأولى، الذي قاتلهم عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

○ **الأمر الثاني:** دعاء مسلمٌ ربه مخلصًا له الدعاء؛ لكنه توسل إلى الله بنبيٍ أو صالح قال: يا ربي أسألك بنبيك، أو يا ربي أسألك بالصالحين، هذا جزم ابن عبد الوهاب بأنه يختلف عن الذي قبله؛ لأن هذا دعاء رجل موحد، سأل الله ولم يسأل غيره؛ فهو مخلص في دعائه؛ فأما صيغة الدعاء التي دعا بها؛ فابن عبد الوهاب يختار المنع منها، كما منع منها غيره من أهل العلم كابي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله؛ لكن ابن عبد الوهاب قطع بأن هذه الصيغة: أسألك بنبيك؛ ليست من الشرك في شيء بل إنه عدها رَحِمَهُ اللَّهُ من مسائل الاجتهاد التي لا ينكرها على من خالفه؛ لذا تجد أن ابن عبد الوهاب أدخلها في مسائل الفقه، وقد أطلق خصوم الشيخ ظلمًا وعدوانا وكذبًا وزورًا أن الشيخ يقول: من قال أسألك بجاه النبي أو أسألك بالشيخ عبد القادر أن ابن عبد الوهاب يكفره، وهذا بهتانٌ تولى كبره خصوم الشيخ عرفوا بالكذب مثل: علوي الحداد، وأحمد بن زيني دحلان، وغيرهما كثيرٌ مما جعل كثيرًا من عامة المسلمين الذين يستعملون هذا الدعاء يظنون أن ابن عبد الوهاب يكفرهم إذا قالوا اللهم إني أسألك بنبيك؛ فانتشر في عامة المسلمين أن ابن عبد الوهاب يكفر من قال أسألك بالصالحين مع أنه يقول هذا أصلًا مما لم ننصب الخلافة فيه؛ لكن نقول لا يدعو أحدٌ إلا الله عَزَّوَجَلَّ لا يقل اللهم، لا يقل اغفر لي، لا يقل وفقني، لا يقل فك أسري؛ إلا لربه، لا يقول هذا لنبيٍ ولا غيره، وهذه حقيقة دعوة المرسلين كما لا يخفى.

❁ المسألة الثانية:

التفريق بين دعاء الله عند قبر أحد الصالحين، رجل يدعو الله عند قبر أحد الصالحين، وبين آخر أتى إلى صاحب القبر يدعوه، هذا التفريق ورد في كلامه السالف؛ حيث قطع بأن من دعا ربه عند القبر؛ فإنه مسلم، مخلص لله في دعائه، وإن كان قد ابتدع بتخصيصه البقعة

التي لم يخصها الشرع بالدعاء؛ لكنه موحد؛ وإنما يحكم بالشرك على من يدعو غير الله ويسأله ما لا يجوز أن يطلبه العبد إلا من الله.

❁ المسألة الثالثة:

التفريق بين الشرك الصريح وبين الأسباب التي قد توصل إلى الشرك، ومن أشهر ما يمثل به على هذا التفريق مسألة بناء القباب على القبور، ما حكمها عند الشيخ؟

الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع إنكاره بناء القباب على القبور؛ ونقله الإجماع على المنع منها؛ إلا أنه فرق بين مجرد البناء على القبر، وبين الشرك بصاحب القبر؛ فقال عن القبة المبنية على القبر: «يجب هدمها»، ثم قال: «ولا علمت أنه يصل إلى الشرك الأكبر؛ وكذلك الصلاة عنده -أي: عند القبر- وقصده لأجل الدعاء؛ فكذلك -أي: حكمها واحدا لا يصل إلى الشرك- ولا أعلمه يصل إلى ذلك، ولكن هذه الأمور -لاحظ العبارة- من أسباب حدوث الشرك، في فيشتد نكير العلماء لأجل ذلك»؛ ففرق الشيخ كما ترى بين الشرك الصريح؛ وبين الأمر المبتدع؛ فخلط الكاذبون أن الشيخ يكفر من فعل كل هذه الأمور؛ فمن أتى عند القبر ودعا الله قالوا: يكفر، من قال أسألك بنبيك قالوا: يكفر، أشاعوا في الناس أن ابن عبد الوهاب يكفر الأمة بعمومه؛ لأن هذا منتشر في كثير من الجهال.

اتضح بما نقلنا من وجهة الشيخ حقيقة موقفه من التكفير، وأنه بناة على ما بناه العلماء من أهل السنة؛ فخالفه في ذلك خصومه من المرجئة، الذين افترى عليه بعضهم ما لم يقله، وأشاعوه في الناس.

❁ الفقرة الرابعة:

في موضوع القتال، سنعرض- إن شاء الله- هذه الفقرة من جهتين:

○ **الجهة الأولى**: في تحديد من بدأ القتال هل هو الشيخ محمد وأصحابه؟! أم خصومهم هم الذين بدءوهم بالقتال؟!.

○ **الجهة الثانية**: في السبب الذي هيج القتال، ما هو؟!.

۞ الجهة الأولى:

نقول تقدم أن الشيخ التزم في دعوته المناقشة العلمية حتى مع ألد خصومة وراسلهم، واستمر يسلك في دعوته مسلك الحكمة والموعظة الحسنة؛ وقد وفد عليه طلاب علم كثيرون من أنحاء الجزيرة العربية كلها، قرءوا عليه في التفسير والحديث والسيرة والفقه والعقيدة، وكثر طلابه جدًّا، وكان ذلك في بلدة حريملاء، ثم حصل له مضايقة في هذه البلدة فغادرها إلى العيينة؛ فاستقبله أميرها عثمان بن معمر بالحفاوة؛ فامتد أثر دعوته، وعندها أكثر خصوم الشيخ من الوشاية به، وتشويه دعوته عند الحكام، وراسلوا عددًا من الحكام يهيجونهم ويحذرونهم من الشيخ، كل هذا لم يقع فيه قتال بعد، ترتب على ذلك أن تدخل حاكم الأحساء وكان من أفسد الحكام في ذلك الوقت وهو سليمان بن عريعر؛ فتهدد ابن معمر حاكم العيينة اللي ما قلت لكم من إن حاكم العيينة يتأثر جدًّا بحاكم الأحساء، وقلت لكم إن حاكم الأحساء هذا هو الذي أخرج أجداده عام ألف وثمانين اخرجوا العثمانيين من الأحساء وقتلوا جنودهم؛ ولم يعد للعثمانيين أي سلطة على الأحساء؛ فصارت بعض البلدان النجدية تتبع الأحساء، فكيف يقال إن محمد بن عبد الوهاب خرج على العثمانيين، وأنت ترى السلطة الحقيقية لمثل ابن عريعر حاكم الأحساء داخل نجد وليس للعثمانيين، هدد ابن عريعر حاكم العيينة إن لم يخرج الشيخ محمد من عنده أن يغزوه في بلده، ويقطع عنه ما يجريه عليه من المال؛ لأن ابن عريعر كان يرسل لابن معمر ولبعض أمراء البلدان النجدية يرسل لهم خرجًا سنويًا فقال سأقطع عنك ما أرسله، وسأغزوك في بلدك؛ طلب ابن معمر من الشيخ محمد أن يرتحل؛ فارتحل رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى الدرعية عام ألف ومئة وثمانية وخمسين؛ فأتاه أميرها محمد بن سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ بنفسه، ووعده أن ينصره وينشر دعوته؛ في هذه الفترة لم يكن بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبين خصومه أي قتال؛ فقد قبل دعوته عدد ليس بالقليل من الناس؛ كما عاداها آخرون غير قليلين أيضًا، ولم يكن الوضع في نجد في تلك الفترة إلا وضع مناقشات وردود بين فريقين تخاصما في مسائل نقلناها فيما تقدم.

فمن هنا كان من المهم بيان الطرف الذي أوقد الحرب وبدأ بها، هل هو الشيخ محمد ابن عبد الوهاب وأصحابه الذين رفضوا الأوضاع القائمة؟ أم أن الذي بدأ القتال خصومه الذين أنكروا عليه دعوته؟.

○ لإيضاح ذلك نرجع لهذه الواقعة التاريخية، يتضح الجواب من كلام الشيخ وكلام خصومه على حدٍ سواء ونبدأ بنقل كلام الشيخ محمد في المسألة؛ فإنه بعد أن أوضح اعتقاده الذي دعا إليه الناس، من وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة، وعدم صرف شيء من العبادة لأصحاب القبور، أوضح ما الذي واجهه به خصومه بعد هذه الدعوة؟ فقال: «فهذا الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس، حتى آل بهم الأمر إلى أن كفرونا وقاتلونا واستحلوا دماءنا وأموالنا، -أي: ابتداء منهم- ولما سأل علامة العراق الشيخ السويدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكان ممن نصر دعوة الشيخ، سأل الشيخ محمد بن عبد الوهاب -أي: الشيخ السويدي سأله- عما بلغه في العراق مما يشيعه خصوم ابن عبد الوهاب عنه ومنه القتال أجابه الشيخ محمد بأن خصومه هم الذين بدءوه بالقتال، فقال: «وأما القتال؛ فلم نقاتل أحدًا إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة، وهم الذين أتونا في ديارنا ولا أبقوا ممكنا، -أي: هم الذين بادرونا بالقتال-؛ ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة، وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلها، وكذلك من جهر بسب دين الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدما عرفه»، وعند شرح الشيخ لقول الله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤] تكلم عما صنعه خصومه من بدئه بالقتال فقال: «العداوة واستحلال دمائنا وأموالنا ونسائنا ليس عند التكفير والقتال؛ بل هم الذين بدوأنا بالتكفير والقتال -ثم ذكر أن خصومة الذين يأبون تكفير من يجحد بالبعث يكفرونه هو- ويقول: لماذا لا تكفرون من يجحد البعث؟! قالوا لأنه يقول «لا إله إلا الله»، فقال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأنا أقول «لا إله إلا الله» وأنا من أهل الجزيرة العربية، فلماذا تكفرونني وأنا أقول لا إله إلا الله، ولا تكفرون هؤلاء الأجلاف وهم ينكرون اليوم الآخر؟!، ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم يكفرون ويستحلون دماءنا وأموالنا مع أنّا نقول لا إله إلا الله»؛ وذكر أنهم لم يكفهم ذلك حتى أفتوا لمن عاهدنا

بعهد الله ورسوله أن ينقض العهد، وله في ذلك ثوابٌ عظيم، ويفتون من عنده أمانة لنا أو مال يتيم، أنه يجوز له أكل أمانتنا، ولو كانت مالا يتيم، بضاعة عنده أو وديعة؛ بل يرسلون الرسائل لدهام بن دواس وهو أمير الرياض ذاك الوقت وأمثاله؛ إذا حاربوا التوحيد ونصروا عبادة الأصنام، يقولون: أنت قمت مقام الأنبياء.

○ الشيخ ابن غنام تلميذ الشيخ محمد لما فصل ما انتشر في الناس وقت ابن عبد الوهاب من الغلو، أوضح أن شيخه ابن عبد الوهاب لم يسرع له لسانٌ بتكفيرهم بل توقف تورع عن الإقدام على ذلك حتى نهضوا إليه وباحوا وصاحوا بتكفيره وجماعته ولم يأمر بسفك دم ولا قتال على أكثر أهل الأهواء حتى بدءوه بالحكم عليه وأصحابه بالقتل والتكفير، وقالوا: إن كان الذي نفعل من الدعوات والاعتقادات بأهل القبور فنحن كفار، وضلال، قال وكان - أي: الشيخ- مع ما يسمع من الأذى، وشحذهم لدمه مواظب جلادهم ومبالغتهم في السعاية لإهلاكه يتضرع إلى مولاه أن يشرح صدورهم للحق، وكان يسير معهم بسيرة الصفح والعفو، وأحب ما لديه إتيان أحدهم بالمعذرة، وحين أعز الله جماعته، وأعوانه وجاؤوا وافدين -أي: خصومة- عليه لم يعاملهم بالإذلال والإهانة، وأبدى لهم البشاشة؛ وكأنه لم يصدر منهم بلاء، ورصد البدايات الأولى للحرب الشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن، وهو أحد تلاميذ الشيخ؛ لأنه تتلمذ على الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فذكر أن الشيخ ابن عبد الوهاب لما وصل إلى الدرعية وتلقاه أميرها بالقبول تابعهم أكثر أهل البلد على قلة منهم وضعف؛ فأول من عاداهم أقرب الناس إليهم بلد وأقواه كثرة ومال، بلاد إدهام بن دواس أمير الرياض، فهو أول من شن الغارة عليهم على غفلةٍ وغرة فقتل منهم رجال، واستمرت الحرب بينهم بعد ذلك؛ وأعان إدهام على حربه مرارًا أهل نجران وحاكم الأحساء -أي: ابن عريعر-، ثم سرد الشيخ عبد الرحمن غزو معظم البلدان النجدية للشيخ في الدرعية؛ وبدأهم وأنهم اجتمعوا للحرب ونزلوا على الدرعية وهي شعاب كما تراها شعاب لا يمكن تحصينها، واجتمع من أهل هذه البلدان عددها الشيخ بلد بلد، البلدان النجدية تقريبا كلها، اتفقت على غزو الشيخ في الدرعية، واجتمع من أهل هذه البلدان قال حتى من يدعي أنه من

العلماء -أي: من خصوم الشيخ-، ولما قيل لرجل من أمثل علمائهم كيف أشكل عليكم عريعر؟ أي: حاكم الأحساء، وفساده وظلمه وأنتم تقاتلون معه وتعينونه؛ فقال: لو أن الذي حاربكم إبليس لكنا معه، وذكر الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن أن من وقف على سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وما ذكره المؤرخون من بدء دعوته عرف أنه لم يبدأ أحدًا بالقتال؛ بل أعداؤه ابتدءوه بذلك وقتاله كان من باب الدفع والمجازاة على السيئة بمثلها.

❍ ومما يرتبط ببدء خصوم الشيخ إياه بالقتال، ما وقع منهم من نقض بشع للعهود التي أبرموها؛ هذا النقض للعهود يعد نوعًا من بدء الحرب بعد ما وضعت أوزارها؛ وقد نقض العهد المبرم مع الشيخ أكثر من طرفٍ من خصومه في البلدان؛ حيث كاتبوه الدرعية طالبين المهادنة، وإرسال علماء من عند ابن عبد الوهاب ليعلمهم التوحيد؛ فاستجابت الدرعية للهدنة وتمت المعاهدة؛ ثم أرسل الشيخ محمد بن عبد الوهاب عددا من العلماء عنده إلى تلك البلدان بناءً على طلبهم ليعلموهم التوحيد؛ لكن الذي حدث أن تلك البلدان اتفقت على نقضٍ جماعي للمعاهدة؛ وكان ممن طلب المعاهدة أقوى أعداء الشيخ في نجد وهو دهام بن دواس أمير الرياض، طلب ذلك عام ألف ومئة وسبعة وستين ثم لم يلبث أن نقضها، وأقصى سور نقض العهد ما وقع عام ألف ومئة وستة وتسعين، حين اتفق عدد من رؤساء البلدان على نقض العهد مع الدرعية دفعةً واحدة؛ ثم عمدوا إلى العلماء الذين أرسلهم الشيخ لهم؛ فقتلوهم قتلًا جماعيًا، كما قتلوا أيضًا من نفس جماعتهم من نفس قرابتهم من آل تلك البلدان علماء؛ لأنهم يدعون إلى التوحيد على منهج الشيخ، هنا هذه الحادثة من أشد حوادث ذلك العام إجرامًا وفظاعة؛ ولذا تجد في كلام الشيخ محمد غضبًا على من خانوا هذه الخيانة، وشدةً في كلامه عليهم؛ فيأتي بعض من لا يتقي الله اليوم ويأخذ كلام الشيخ في تلك الحادثة، ويقطع كلام الشيخ عن سياقه الذي قاله فيه؛ فإن الشيخ قال هذا في أولئك الذين غدروا وقتلوا أولئك العلماء الذين أرسلهم إليهم بناءً على طلبهم، حتى من عجيب ما ذكروا أن أحد المكفوفين كان أعمى وكان من أهل العلم، كانوا يتفننون حتى في قتلهم، علقوه برجله، وفيه رمق بعد ما فعلوا به ما فعلوا من الضرب والتنكيل ومات وهو

معلق هكذا كأنه منكوس الرأس؛ كل هذا بعد أن طلبوا من الشيخ المعاهدة؛ وبعد أن طلبوا من الشيخ أن يعلمهم التوحيد، ثم نقضوا؛ فإذا غضب الشيخ وقال كلامًا؛ بترا الذين لا يتقون الله عَزَّوَجَلَّ كلامه عن هذه الواقعة، وهذه الواقعة تعلم أن أي أحد يغضب غضبًا شديدًا إذا قتل العلماء الذين أرسلهم ونقض العهد بهذه الطريقة التي هي نوع من الاتفاق والتواطؤ والمخادعة لإيصال أقصى ما يمكن أن يوصل من الضرر بالشيخ، وأصحابه؛ فهذا الكلام لا يزال في عرض بدء القتال من قبل الشيخ وأصحابه.

○ **ننظر الآن في كلام خصوم الشيخ، من أشهر خصوم الشيخ، الشيخ: أحمد بن زيني الدحلان المكي،** وهذا الرجل كان من أكثر من كذب على دعوة الشيخ وشوهها والله تعالى سيجمع العباد ليومٍ لا ريب فيه؛ فكلام المعاصرين للشيخ والآتين بعده فيه الإقرار بأن خصوم الشيخ هم الذين بدءوه بالقتال وأنه لم يبدأهم، من ذلك ما ساقه أحمد بن زيني دحلان، أورد الحادثة الحادثة التي بها ذهب عدد من العلماء من أصحاب الشيخ لمكة؛ لمناقشة علمائها، النتيجة ما هي؟! أن تم القبض عليهم؛ ثم حبسوا في السجن، مع أنهم جاءوا لمناقشةٍ علمية مع العلماء هناك، أقر ابن دحلان أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأصحابه منعوا من الحج سنواتٍ متتالية، من قبل حكام مكة؛ لأنهم بزعمهم مجرد كفارٍ مرتدين، بناءٍ على ذلك بدأهم شريف مكة بالغزو في عقر دارهم في نجد مرات متتالية منذ عام ألف ومئتين وخمسة إلى عام ألف ومئتين وعشرين، وقد نقض العلامة الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الفعل من شريف مكة، وهذا التشاغل بالشيخ وأصحابه على النحو الجائر الذي ذكرته، وقد شجع كثيرٌ من خصوم الشيخ الحكام على غزو الشيخ وأصحابه؛ فغزاهم حاكم العراق أيضًا وفشل في مسعاه؛ ثم غزاهم محمد علي باشا حاكم مصر، ومن بعده ابنه إبراهيم إلى أن سقطت الدرعية وحصل من التنكيل بأهل الجزيرة ما يطول وصفه والعجب كل العجب الذي يخفى على كثيرين أن هذا التنكيل لم يخص أصحاب الشيخ وحدهم، بل عمهم وعم خصومهم، حتى حصل دمار هائل في جميع بلدان الجزيرة، وكان أول من اكتوى بنار هذا الجيش خصوم الشيخ، الذين استدعوا هذا الجيش فنكل بهم هذا

الجيش غاية التنكيل.

○ **فسبحان الله!!** ما أعجب البغي كيف يهلك أهله، وبدء خصوم الشيخ إياه بالقتال كان مبررًا عندهم؛ لأنهم يرون أن الشيخ مرتد؛ وأن أصحابه مرتدين؛ كما نجد ذلك في كلام عدد من خصوم الشيخ، ومن أشهرهم خصمه محمد بن فيروز، الذي زعم أن الشيخ محمد وأصحابه مرتدون تحل دمائهم، وظل يحرض العثمانيين وحاكم العراق على غزوهم مرة بعد مرة؛ وكان ممن حرض على إبادة أصحاب الشيخ خصمه عثمان بن سند الذي شجع إبراهيم باشا في كتاب بعثه إليه لما اتجه إلى الدرعية شجعه على قتلٍ جماعي حتى للأطفال؛ وأنشأ قصيدة يقول فيها:

ولا تبقي منهم واحد تستطيبه إذا خبث الآباء لم يطب الولد

أي: اقتل الأولاد والآباء جميعًا؛ وقد كاتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب عددًا من خصومه، وأوصلوا إليه كتبًا يصرحون فيها بأنهم يستحلون دمه، ودم أصحابه، ويرون أنهم كفار، والذين كاتبوا الشيخ بهذا عدد منهم: فيروز كما قلنا، ومنهم ابن عفالق، ومنهم ابن عبد اللطيف وغيرهم.

وقد أورد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاباتهم هذه متعجبًا من جرائتهم وبغيهم؛ فكان موقف خصوم الشيخ من بدئه بالحرب مبنيًا على زعمهم بأن الشيخ ومن معه كفارٌ مرتدون؛ فلذا أوقدوا الحرب المرة تلو المرة، وقد تقدم أن الشيخ وأصحابه لم يبدءوا خصومهم بالقتال؛ بل هم الذين غزوا في بلدهم مما جعلهم يردون على من غزاهم بغزوٍ مثله، مستدلين بقول الله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى:٤٠] إلى أن مكنهم الله تعالى من الانتصار على خصومهم وإخضاع هذه الجزيرة لحكم الشرع، ثم لما أتى خصوم الشيخ إليه؛ فمثل ما سمعت في كلام ابن غنام لم يعاملهم بالإهانة؛ وكأنه لم يقع منهم أي بلاء كما عبر ابن غنام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هذا بإيجاز ما يتعلق بالجهات الأولى المرتبطة بتحديد من بدأ القتال؟! أهو الشيخ أم خصومة؟!

❁ الجهة الثانية:

وهي تحديد السبب الذي هيج على القتال، الحق أن السبب الذي هيج على القتال هو غضب خصوم الشيخ من تطبيقه العملي لما أوجب الله من إزالة مظاهر الشرك؛ كبناء القباب على القبور، وقطع الأشجار التي كان يغلو فيها الجهال؛ فهدم القبة المبنية على قبرٍ نسبه الغلاة لزيد بن الخطاب كذبًا وزورًا هدم هذه القبة لما وقع تم تهديد حاكم العيينة كما قلنا ابن معمر من قبل ابن عريعر؛ فخرج الشيخ محمد من العيينة بطلب من حاكمها ابن معمر وقال إني لا أطيق أن أخالف ابن عريعر.

○ **لما وفد الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الدرعية اختلف الوضع؛** فإن ابن عبد الوهاب لما أخذ في إزالة الأماكن التي يغلى فيها في الدرعية أعانه حاكم الدرعية الإمام محمد بن سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ ونصره، مما أغضب خصوم الشيخ وجعلهم يقومون بغزو عام للدرعية اشتركت فيه عدة بلدان؛ كما ذكرنا ذلك قريبًا، هذا هو السبب الذي هيج القتال، والعجيب أن إزالة هذه المظاهر الشركية أين كان؟! لم يكن في بلدان خصوم الشيخ حتى يقولوا إنه أتى ودمر هذه المواضع في بلداننا؛ بل كان في الدرعية موضع ولاية محمد بن سعود، ومع ذلك غضب الغلاة وغزو هذا البلد، مما يدل على شدة تعصبهم لهذه المظاهر الشركية؛ وقد نص على أن هذا هو السبب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فقال في رسالته لأهل المغرب بعد أن ذكر ما وقع من إحداث الناس أمورًا خالفوا بها ما كان عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسلف الأمة من سؤال الموتى، وبناء القباب على القبور، وأن العلماء أوجبوا هدمها قال الشيخ: «فهذا هو الأمر الذي أوجب الخلاف بيننا وبين الناس؛ حتى آل الأمر بهم إلى أن كفرونا وقاتلونا واستحلوا دمائنا، أي: أن هذا هو السبب الذي جعلهم يغزون الشيخ وأصحابه في الدرعية، ولما كانت إزالة المواضع الشركية في الدرعية في ولاية ابن سعود ذلك الوقت، قال الشيخ في رسالته لعلماء مكة: «جرت علينا من الفتنة ما بلغكم وبلغ غيرك، وسببه هدم بناء في أرضنا على قبور الصالحين؛ فأشاعوا عنا أنا نسب الصالحين، وأنا على غير جدة العلماء» ثم قال الشيخ: «ثم أعلموا وفقكم الله إن كانت

المسألة محل إجماع –أي: مسألة هدم القباب على القبور– فلا نزاع –أي: يقصد أني طبقت أمر مجمع عليه– وإن كانت مسالة اجتهادية فمعلومكم أن لا إنكار فيمن يسلك الاجتهاد؛ فمن عمل بمذهبه في محل ولايته –مثل ابن سعود لما هدم القباب في الدرعية– لا ينكر عليه»، فمراد الشيخ أن هدم تلك القباب لو فرض أنها محل اجتهاد؛ فمسائل الاجتهاد إذا حزمها الحاكم في اختيار قول فيها فلا ينكر عليه؛ لأنه طبق ذلك في محل ولايته؛ وبالتالي فلا وجه لغزو خصوم الشيخ له في الدرعية؛ مع أن علماء الحنابلة نصوا على وجوب هدم تلك الأبنية المقامة على القبور، وخصوم الشيخ الذين غزوه يعلمون أن ذلك منصوص في كتب المذهب الحنبلي، ونص الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود حاكم الدرعية أن هذا هو سبب بدء خصوم الشيخ لهم بالحرب حيث ذكر في رسالته لأهل المخلاف السليماني؛ أن الحال في نجد، والحال الذي عليه غالب الناس من الشرك بالله من عبادة أهل القبور والاستغاثة بهم والتقرب إليهم بالذبح، قال: حتى أظهر الله الحق على يديا الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ فبين لنا أن هذا هو الشرك الأكبر؛ فحين كشف لنا الأمر بالنصوص وكلام الأئمة الأعلام عرفنا أن ما كنا ندين به أولًا هو الشرك الأكبر، ثم قال الإمام عبدالعزيز: «فلما نهانا عن ذلك تبرأنا من أهله؛ فلما فعلنا ذلك وأزلنا جميع الأوثان والقباب التي في بلداننا، أنكر الناس ذلك، وكفرونا ورمونا بعداوتهم عن قوسٍ واحدة»؛ فنص رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أن سبب عداوة خصومهم لهم هو إزالتهم المظاهر الشركية الموجودة داخل الدرعية في ولاية ابن سعود؛ وأن غزو الشيخ في الدرعية إنما كان لهذا السبب؛ فعرفنا من كل ما تقدم أن من بدأوا بالقتال هم خصوم الشيخ؛ وعرفنا أن السبب هو غضبهم من إزالة مواضع الشرك؛ مع أنها في غير بلدانهم؛ بل في بلدٍ أزال حاكمها هذه المظاهر الشركية، مما يوضح ما كان عند خصوم الشيخ من الغلو والتعدي على من أقام التوحيد، وعمل بما أوجب الله من إزالة تلك الشركيات؛ وبذلك اتضح أن الواقع التاريخي والعقدي دالان على ما وقع في مسألتي القتال والتكفير وأنه أرتبطا عند خصوم الشيخ بعقيدتهم الفاسدة في معنى التوحيد؛ تلك العقيدة التي خالفوا بها ما قررته النفوس وعلماء السلف وعلماء الأمة من بعدهم في المعنى

الصحيح للتوحيد؛ فلا غرابة أن يبني هؤلاء الخصوم بعد ذلك اعتقادهم الفاسدة في التكفير وقتال الشيخ وأصحابه على ذلك الأصل الفاسد الذي نابذوا به علماء الأمة وما أجمعوا عليه.

❍ **قبل ختم ما يتعلق بالقتال الواقع في الجزيرة في تلك الحقبة أنبه على أمر فيه أبلغ العبر للمعتبرين؛** فإن خصوم الشيخ محمد عدو ما وقع من التدمير الهمجي للجزيرة على يد جيش إبراهيم باشا؛ عدوه تدميرًا للخوارج، الذين خرجوا على العثمانيين وأثنوا على ذلك الجيش الهمجي الذي كان يتلذذ بتقطيع آذان الناس وأنوفهم في الجزيرة العربية؛ وينوع في أساليب قتلهم، ومضى ذلك الجيش بإسلوب الغدر في العهود التي أبرمها فما يلبث أن ينقضها، هذا الجيش أيها الإخوة، الذي سماه خصوم الشيخ بالجيش الذي أباد الخوارج اتجه هذا الجيش بعد ذلك إلى عقر دار العثمانية، الذين أرسلوه وتسلط عليهم هم؛ وهذا يجهله كثيرٌ من طلاب العلم، فاستولى هذا الجيش؛ جيش إبراهيم باشا الذي خرج من الدرعية مدمرًا لها، عاد على العثمانيين، فاستولى على عدد من بلدان الشام، غضب السلطان العثماني وجهز الجيوش لحربه لكن إبراهيم باشا هزم الجيوش العثمانية واحدة بعد الآخر؛ فجهز العثمانيون لحربه جيوشًا كبرى بلغت الستين ألفا؛ فاستطاع أيضًا أن يهزمها، ثم إن إبراهيم باشا في هذه المعارك المتلاحقة قبض على عددٍ من قادة الجيش الكبار وقتل عددًا من أولئك القادة، ثم احتل بلدة أضنة التركية، وقتل وأسر عددًا كثيرًا من قادة الجيش ومن أفراده، بلغوا الألوف؛ ثم إنه غنم غنائم كثيرة، ثم واصل زحفه داخل البلاد التركية، واحتل مدينة ماغنيسيا، وأرسل إلى أزمير رسولًا ولم يلق بها مقاومةً أصلا فعزل حاكمها، إبراهيم باشا عزل حاكمها وأقام حاكم آخر أقامه هو؛ ثم سار إبراهيم باشا حتى دخل بلدة كوتاهي، وهدد إن لم ينفذ العثمانيون مطالبه أن يرحف عليهم في نفس عاصمتهم ويزيل الدولة العثمانية بأسرها، مما جعل السلطان العثماني يستنجد بمن؟! بألد أعدائه في ذلك الوقت وهم الروس؛ فأرسلوا خمسة عشرة ألف جندي لحماية العاصمة، وهنا تمكن الروس من إبرام معاهدة مع العثمانيين، مكنتهم من التدخل في الشؤون العثمانية الداخلية،

تحت وطأة الضعف التي انتابهم من غزو جيش إبراهيم باشا، هذا الجيش الذي سماه خصوم الشيخ قامع الخوارج أبى الله من فوق سبع سماوات؛ إلا أن يسلط هذا الجيش على من أرسلوه، وأن يشرق خصوم ابن عبد الوهاب بثناءٍ على ذلك الجيش، حيث خرج هذا الجيش خروجًا صريحًا على العثمانيين؛ أما ابن عبد الوهاب الذي لم يكن أصلًا تحت سلطان العثمانيين كما قلنا؛ فعدوه هو الخارجي؛ فكم لله من عبر في هذا التاريخ لمن أراد الاعتبار.

۞ الفقرة الرابعة:

في تراجع عددٍ كثيرٍ من خصوم الشيخ عن معاداته؛ فإن الدعاية التي كانت ضد الشيخ شديدةٌ جدًّا في ذلك الوقت، اشترك فيها جهات متعددة مما نشرا للشيخ عداوة نشأت من عدم وقوف هؤلاء على كتبه؛ فلما وقفوا على ما قرره الشيخ في كتبه، وإذا به يقرر ما قرره علماء المذاهب الأربعة، وينقل ذلك من كتب العلماء التي يعرفونها، مما تسبب في رجعةٍ كبيرةٍ في الدعاية ضد الشيخ؛ إذ وقف من أنصفوا على كتبه عليها وتبين لهم أن الأمر فيها كان على خلاف ما بلغهم؛ فتراجعوا عن خصومتهم للشيخ، والأمثلة الدالة على هذا التراجع كثيرة جدًّا استقصيتها في بحثٍ عسى الله أن يسهل خروجه.

○ أعرض لبعض النماذج الموضحة لذلك:

من ذلك ما وقع من من تراجع علماء مكة عن خصومتهم للشيخ وكانوا يكفرونه أول الأمر بعد أن ناقشهم الشيخ عبد العزيز الحصين؛ حيث أقروا أن ما دعا إليه ابن عبد الوهاب هو عين ما دعا إليه العلماء قبله؛ وهكذا أقروا بذلك عندما ناقشهم الشيخ حمد بن معمر، والشيخان هذان من تلاميذ الشيخ محمد، وقد شهد شيخ المذهب الحنفي بمصر، الشيخ عبد الرحمن الجبرتي رحمه الله تعالى عليه، والشيخ محمد بن علي الشوكاني عالم اليمن؛ بأن تلك المناقشة من قبل علماء الشيخ قد أظهرت ما لدى أصحاب الشيخ من الحجة، وأن العلماء المكيين أقروا بصحة ما ذكره أصحاب الشيخ، ومثل تلك المناقشة التي جرت بين

الإمام سعود بن عبد العزيز وعلماء المغرب الذين وفدوا إلى الحجاز؛ فناقشهم سعود وأوضح لهم حقيقة دعوة الشيخ؛ فلما وقفوا على حقيقة دعوة الشيخ أقروا أنها الحق، مما جعل سلطان المغرب السلطان سليمان، يكتب للأمام سعود قصيدة من نحو مائتي بيت يثني فيها على ما قرره الشيخ محمد من الاعتقاد، ويثني على ما صنعه الإمام سعود من إزالة مواضع الشرك والقدر التي كانت موجودةً في مكة ويثني على ما فعله من طريق من تأمين الطرق للحج للحجاج، ومن ذلك ما جرى لعلامة اليمن الشيخ علي باصابرين رحمه الله تعالى عليه؛ فإن هذا الرجل كان من أكابر علماء اليمن، ومرةً نال من دعوة الشيخ محمد في درسه نيلًا فاحشا، وكان الشيخان صالح البسام ومبارك آل مساعد حاضرين، فلما فرغ الشيخ علي من درسه قام إليه، وقال له يا شيخ هل اطلعت على كتب الشيخ محمد حينما نلت من دعوته؟ قال: لا؛ لكني قلت هذا نقلًا عن مشايخي؛ فاقترح عليه أن يطلع على نسخ معهما من كتب الشيخ؛ فوافق فدرسها وتأملها وبعد أسبوعٍ جاء وقال لطلابه: «إني نلت من الشيخ محمد ودعوته، والحق أن كلامي لم يكن عن اطلاع على كتبه؛ وإنما هو تقليد وحسن ظن بمشايخنا؛ وقد أطلعني بعض إخواننا النجديين على بعض كتبه؛ فرأيت فيها الحق والصواب، وأنا أستغفر الله مما قلت»، ونظير هذا الموقف ما جرى للشيخ رشيد رضا الشهير، بعد أن اطلع على كتب الشيخ فإنه تراجع عن معاداته للشيخ وأصحابه؛ حيث كان يظنهم خوارج حصدهم جيش إبراهيم باشا، وقد اطلع الشيخ رشيد شيخ الأزهر في وقته أبا الفضل الجيزاوي، وعددًا من علماء الأزهر على كتب الشيخ، فشهدوا أن ما قرره الشيخ محمد هو الحق، وقال شيخ الأزهر لرشيد رضا على ملأ من الناس- جزاك الله خيرا- بما كشفت عنا من الغمة، في شأن الوهابية.

○ **والمتراجعون عن عداوة الشيخ كثيرون جدًا**، يطول بنا المقام لو أردنا أن نتتبعهم؛ ولكن لعلنا نذكر شيئا بحسب المتبقي من الوقت.

○ الأمر في موقف العلماء لاحقا من الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما قال علامة اليمن الشيخ الحازمي، كما قال العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن من أن كتب الشيخ صارت بعد أن اطلع عليها العلماء في الشام والعراق ومصر واليمن صارت تباع بأغلى الأثمان وتنافس العلماء في اقتنائها؛ وذلك بعد أن تبينت لهم الحقيقة المتعلقة بصحة اعتقاد الشيخ؛ ولزومه ما كان عليه علماء الأمة المحققون.

○ وقد أحصيت في زمن الشيخ وما قاربه من زادوا على مئة وستين من علماء مصر والشام واليمن والهند، والجزيرة العربية والعراق ممن كانوا على اعتقاد الشيخ وأثنى عليه عدد منهم وسموه شيخ الإسلام، ومن أهم من تراجع عن موقفه من دعوة الشيخ أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب، الذي يحاول بعض خصوم الشيخ أن يقول إن سليمان بن عبد الوهاب نابذ الشيخ واستمر حتى مات، وهذا غير صحيح؛ فإن الشيخ سليمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تراجع عن خصمته لدعوة الشيخ؛ كما وثق ذلك الشيخ حسين بن غنام؛ حيث ذكر أن الشيخ سليمان وفد قبل وفاة الشيخ قبل وفاته بسنتين، إلى الدرعية وتراجع عن موقفه، ونقل أيضًا الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رسالة طويلة؛ وقف عليها بخط الشيخ سليمان كتب رسالة لثلاثة ممن زاملوه في معاداة دعوة الشيخ محمد، وهما الشيخان ابن شبانة والشيخ التويجري، وفي هذه الرسالة طلب الشيخ سليمان بن عبد الوهاب، من هؤلاء المشايخ الثلاثة أن يبينوا الحق الذي ضل هو وهؤلاء الشيوخ يعادونه سنوات عديدة، وأن ينشطوا في بيانه أكثر من نشاطهم السابق في طمسه ومحاربته؛ وقد أجابوه برسالة وعدوه فيها بذلك، واستغفروا الله عما وقع لهم من نصر الشرك وأهله عدة سنين، وقال الشيخ سليمان في بيان ندمه على ما وقع والله لو خرجنا إلى البرية وجأرنا إلى الله تعالى توبة مما وقع منا وعدنا الناس مجانين لما كان ذلك كثيرًا -أي: لندمه على ما وقع منه في معاداة دعوة الشيخ- وقد صنف الشيخ سليمان بن عبد الوهاب رسالة مهمة في الرد على أحد خصوم الشيخ وهو مربد سماها الشيخ سليمان: «**الحق المبين**» وهذه الرسالة ذكرها الشيخ عبد الله آل محمود في كتابه «تحذير أهل الإيمان في رده على ابن فيروز»؛ فلا ريب أن الشيخ سليمان قد تراجع،

هذه الشواهد الثلاث لا تبقي شكًا في أنه تراجع رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن باطله السابق، وثمة مجموعة من أهل العلم كالشيخ عبد القادر التلمساني والشيخ أبي بكر خوقير وغيرهم من أهل العلم الذين رجعوا عن معاداتهم لدعوة الشيخ بعد أن وقفوا عليها.

❍ **اختم كلمتي بقول: إن العجب والله كل العجب!!** من أناس اليوم من أبناء هذه البلاد يقدحون في دعوة الشيخ وقد نفعهم الله بدعوة الشيخ فنشئوا في مجتمع لا يعرف الشرك؛ بل أسس على التوحيد، وهم يرون بأعينهم مجتمعات ينشأ أهلها إلى اليوم نشأة مغايرة، تقوم على الغلو في الصالحين وصرف العبادة لهم، ومع هذا الإحسان الكبير الذي كان بفضل الله ثم بفضل دعوة الشيخ؛ لم يعتبر أبناؤنا هؤلاء بهذه النعمة التي هم فيها؛ فإنهم بمجرد أن أن نعق خصوم للشيخ الآن؛ هم امتداد لأولئك الغلاة الذين ينصرون الشرك أو ممن يقررون أينما يقرره الغلاة من المرجئة؛ بمجرد أن نعقوا ضل من ضل من أبناء هذه البلاد وصاروا يقولون: للشيخ موقف من التكفير، للشيخ للشيخ موقف من القتال يخالف الحق متأثرين بالدعاية التي يبثها من؟! يبثها نصرة الشرك اليوم، مع أن الحقيقة في التكفير وفي القتال وفي أصل الخلاف الذي بين الشيخ وبين خصومه هي هذه التي ذكرت- بحمد الله- مبنية على حقائق عقدية، مؤسسة على صريح مذهب أهل السنة، وعلي إثباتٍ من وقائع تاريخية معلومة؛ فجهل هؤلاء بهذه الحقائق الشرعية؛ وبهذه الحقائق التاريخية جعلهم يميلون مع أولئك الغلاة ضد الشيخ وهم يشعرون أو لا يشعرون فهم كما قيل:

كَالْعِيسِ فِي الْبَيْدَاءِ يَقْتُلُهَا الظَّمَا وَالْمَاءُ فَوْقَ ظُهُورِهَا مَحْمُولُ

أي: كالإبل التي يقتلها الظمأ، والماء في قربة محملة على ظهورها؛ فالحق عندهم يستطيعون أن يروه؛ لكنهم لا يرونه، فهم كالإبل التي قتلها الظمأ في العيس؛ والحق منهم قريبا لو أرادوه.

○ **فنسأل الله أن يجزل لهذا الإمام المثوبة،** وأن يجزيه عنا خير الجزاء؛ وإذا أردت أن تقف على حقيقة تأثير دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فاقرأ التاريخ، اقرأ القرن العاشر، اقرأ القرن الحادي عشر، اقرأ القرن العاشر التاسع، اقرأ القرن الثاني عشر قبل دعوة الشيخ القرون قطعا التاسع والعاشر والحادي عشر هذه كلها قبل دعوة الشيخ، الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في القرن الثاني عشر تقود دعوته رحمة الله تعالى عليه، اقرأ واقع نجد ولا تكترث بمجموعة من المؤرخين المعاصرين الذين ليسوا من طلبة العلم وأنكروا ما هو معلومٌ معروفٌ في وقائع تاريخية مثبتة معلومة أثبت هذه الوقائع التاريخية من؟! أنصار الشيخ وخصوم الشيخ على حدٍ سواء، جميعهم يثبتون أن الواقع لهذه البلاد هو وجود جملة من الشركيات الموجودة فيها شأنها شأن غيرها من البلدان؛ وليست نجد بأعجب ولا أكثر علمًا من الشام ولا من العراق ولا مصر.

○ **فالحاصل أن أثر دعوة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عليه كبير،** نسأل الله أن يجزيه عنا وعن المسلمين خير الجزاء وأن يعلي درجته في المهديين، والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

ألقيت هذه المحاضرة في يوم الثامن عشر
من شهر ربيع الأول سنة أثنين وأربعين وأربع مئة وألف
بجامع الجوهرة البابطين، حي الياسمين، الرياض
حرسها الله دارًا للإسلام والسنة.